النسق الثقافي في رواية (سلطانات الرمل)
لِلينا هويان الحسن

م.م. غادة جمال مكي/ جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية
Email: gadajamal00@gmail.com

يقدم البحث النسق الثقافي لحياة البدو في رواية (سلطانات الرمل – سيرة أشهر جميلات بادية الشام) للروائية (لينا هويان الحسن) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بحسب أحداث الرواية، وقد وقع اختيارنا على هذه الرواية بعينها على الرغم من أن للروائية روايات عدة عن البدو ، لكننا وجدنا أن النسق الثقافي لحياة البدو في هذه الرواية أوضح وأشمل من رواياتها التي تناولت الموضوع نفسه ، كما أنها كشفت لنا عن عالم بعيد ومجهول للانسان الحضري الذي يعيش في المدينة، لذا أخذنا النسق الثقافي لهذه الشريحة من المجتمع بكل ماتحمله من عادات وتقاليد مع طبيعة الشخصية البدوية للرجل وللمرأة ومدى مكانة المرأة في هذا المجتمع ، وماهي مواردهم الاقتصادية ،فضلا عن توضيح مصطلح النسق الثقافي ومايحمل من دلالات .

مفهوم النسق الثقافي

- مفهوم النسق

- مفهوم الثقافة

- مفهوم النسق الثقافي

أولا: مفهوم النسق لغة:

أورد ابن منظور في معجمه مادة (نسق) وتعني:((النَّسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نِظام واحد، عامٌّ في الأشياء، وقد نَسقْتُه تَنْسِيقاً))[1] ويذهب ابن سيده للقول: ((نَسَقَ الشيء يَنْسُقهُ نَسْقاً ونَسَّقه نظَّمه على السواء، وانْتَسَق هو

وتَناسَق، والاسم النَّسَقُ، وقد انْتَسَقت هذه الأَشياء بعضُها إلى بعض أَي تَنَسَّقَتْ. والنحويون يسمون حروف العطف حروف النَّسَق لأَن الشيء إذا عطفْت عليه شيئاً بعده جَرى مجرى واحدا والعرب تقول لطَوار الحبْل إذا امتد مستوياً: خذ على هذا النَّسَق أي على هذا الطور))[2].

اصطلاحا:

عرف تالكوت بارسونز النسق بأنه ((نظام ينطوي على أفراد فاعلين، تحدد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقروءة ثقافيا))[3] ،وفي اطار هذا النسق يغدو مفهومه أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي. كما أشار بارسونز إلى أن النسق يرتكز على معاعير وقيم تتشكل مع الفاعلين الاخرين جزء من بنية الفاعلين[4].

فالمجتمع هو نسق اجتماعي عام يتولد منه نسق سياسي،نسق ديني، نسق اقتصادي، علمي..الخ، وهذه الأنساق في علاقتها ببعضا البعض مستقلة ومتساوية المسافة[5].

أما مفهومه الاصطلاحي (النسق) عند عبد الله الغذامي فهو ابراز فعل النسق في الخطاب مهما يكن مصدره وهويته فيقول: ((يجري استخدام النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة تشوه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعني ماكان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تـــأتي مرادفة لمعنى البنية (Structure) أو النظام (System) حسب مصطلح دي سوسير واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق.))[6] اذ يكتسب مفهوم النسق لديه قيما دلالية ومصطلحات خاصة، لانريد الخوض فيها كي لا نبتعد عن مسار بحثنا. واخيرا نذهب إلى رأي عبد الفتاح أحمد في أن النسق يتحقق ((بوجود نظام ثابت ينغرس في وجدان المجتمع،

ويتغلغل داخل ذاكرته، ولم يلبث أن يسيطر عليه، لأنه ينبني من تراكم أثر في العقل الجماعي ثم الانتشار، وهنا يمتلك القدرة على التحكم في ردود الأفعال، ومن ثمة السيطرة والهيمنه على الأفراد، ويصبح النسق لاهم له سوى أن يجعل من قيمه أقنعة لأفكار مثالية توهم الذات بأنها السبيل إلى الحياة.))[7]

الثقافة لغة:

أصل الثقافة في اللغة العربية من ثقف بضم القاف وكسرها، ويقول ابن منظور: ثقف الشيء ثقفاً، وثقافاً وثقوفة حذقه، ورجل ثُقُف، وثِقِفٌ: حاذق، ويقال: ثقِف الشيء وهو سرعة التعلم. وفي حديث الهجرة: وهو غلام لقنٌ ثِقِفٌ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه[8].

الثقافة اصطلاحاً: يتعذر تعريف الثقافة بعموميتها، فثقافة أي مجتمع لابد أن تنطوي على ثقافات مختلفة وغير محددة، ومن ثم سيكون التعريف نفسه تعريفاً قاصراً، فينبغي علينا التعرف إلى جميع الثقافات الأخرى لمختلف المجتمعات التي لايمكن حدها أو تحديدها في تعريف. ولهذا أصبح تعريف الثقافة مقصورا على خصوصية مجتمع ومقصورا على ذاتية الخصوصة، أي أنه سيبقى منغلقاً مهما حاول الانفتاح؛ ولهذا تنوعت التعريفات بتنوع أفكار أصحابها وتوجهاتهم[9]، فعرفها الانكليزي(تايلور) بأنها ((ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان في مجتمع معين.))[10]فهو يرى أن الثقافة يمكن أن تكتسب من خلال بعدين: هما اجتماعي، وفردي. الاجتماعي: إن الثقافة مرتبطة بالمجتمع الذي نعيش فيه .

أما البعد الفردي: فيرتبط بملكة الاكتساب والتعلم فهي اذن ظاهرة مكتسبة من المجتمع الذي نعيش فيه، ونكتسبها شيئا فشيئا بالتدرج بحسب مراحل العمر

المختلفة، فضلاً عن ملكة التعلم والاكتساب.[11]ويذهب مع هذا التعريف عاطف وصفي في كتابه (الانثروبولوجيا الثقافية) فيقول: الثقافة ((هي الطريقة التي يعيش بها الفرد في المجتمع، سواء كان هذا المجتمع متقدما ًأم متخلفاً، وهي من صنع الانسان، وقدرة الانسان على انتاجها هي أهم مايميزه عن باقي المخلوقات الأخرى.))[12]

النسق الثقافي: ويعرفه عبد الله الغذامي بقوله: أن ((الانساق الثقافية هي أنساق تاريخية أزلية راسخة، ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنظوي على هذا النوع من الأنساق))[13] ويضيف، أينما رأينا منتوجا ثقافياً أو نصاً يحضى بقبول جماهيري عريض وسريع، فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر، فينبغي كشفه والتحرك نحو البحث عنه، وقد يكون ذلك النسق في الاغاني أو في الأزياء أوالحكايات والأمثال، مثلما هو في الأشعار والاشاعات والنكت. فهو لايراه شيئاً طارئاً وإنما هو جرثومة قديمة تنشط إذما وجدت الطقس الملائم.[14]كما انها نظام متواصل ومتوارث، ينتقل من جيل إلى جيل عبر المحاكاة أو التكرار أو الممارسة بشكل لاشعوري كما في تعلمنا للغة، فهي تبدأ مع الانسان منذ لحظة ولادته، وتستمر معه طوال حياته ولاتعرف حد لنهايتها الا بالموت. فالثقافة تحيط بالانسان كالهواء الذي يتنفسه، فهي تؤثر في افعاله، وتفكيره، وسلوكه، وعاداته، فهو يولد ويعيش ويموت خلال أنماط ثقافية محددة ويتضمن الرموز، والمثاليات، والعادات، والتقاليد والاعراف، والقيم، والمعتقدات الشعبية، واللهجة، والامثال وكل الخطط والقوانين والتعليمات والافكار[15].

مفهوم البدو لغة واصطلاحا

البدو ظاهرة عريقة في المجتمع العربي، وجدت منذ أن وجد ذلك المجتمع، ولاتزال قائمة إلى يومنا هذا، ولعل سبب وجودها واستمرارها؛ وجود الصحاري العربية الواسعة مترامية الأطراف، التي تفرض على قانطيها حياة الترحال؛ بسبب الظروف الطبيعية القاسية التي تكتنفها[16].قال الله تعالى ((**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِين**))[17]وهذه الاية تدل على تكيفهم معها فسخروا كل مافيها لخدمتهم.

البدو لغة:

ورد في لسان العرب البدو والبادية والبداة والبَداوة والبِداوة: خلاف الحضر[18]، وفي القاموس المحيط بدا القوم بداً بمعنى خرجوا إلى البادية، وتبدى أقام بها.[19]

البدو اصطلاحا:

هناك تعريفات كثيرة للبدو لكن أهمها وأقدمها تعريف ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: ((البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولاشك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليهما لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما، لأن أول مطالب الانسان الضروري.))[20]وهو سعي منه لتشكيل حقل معرفي للمصطلح، أما المستشرق الألماني(اوبنهايم) فقد عرف البدو في كتابه الذي حمل الاسم نفسه (البدو) قائلاً: ((البدو الحقيقيون هم قبائل رحل أقحاء، ومربو جمال ينتقلون من موقع تتوافر فيه المراعي والمياه إلى آخر، حالما يقلع الموقع الذي تركوه عن تقديم الكلأ والماء لقطعانهم.))[21] ويضيف، وهم لايسكنون الرمال

فحسب بل كذلك الصحاري الصخرية وصحاري السهوب الصلبة التي تغطيها خلال فصل الصيف والربيع الأعشاب والحشائش الزاهية التي تصلح علفاً لحيواناتهم. فالبداوة هي نمط حياة تنطبق على فئة معينة من السكان الذين يتميزون بخصائص معينة وسلوك ترسمه البيئة المحيطة بهم، التي لاتسمح باقامة حياة مستقره في مكان ثابت طوال العام فهم مضطرون لتغير مكان اقامتهم من حين لاخر أو من فصل لآخر؛سعياً وراء الغذاء والرعي.[22]والذي يعنينا من البدو هو النسق الثقافي لحياتهم الذي طرحته الكاتبة (لينا هويان الحسن) في روايتها (سلطانات الرمل).

المجتمع البدوي: طبيعته / شخصية البدو

لم تختلف حياة البدو اليوم كثيرا عن الحياة التي وصفها لنا شعراء ومؤرخوا العصر العربي القديم، فسهوب الصحراء هي ذاتها منذ الاف السنين، وكذلك بقي البدو اسياد الصحراء اصلاء على الفطرة بدائيون وحشيون ومحاربون لم تمسهم الحضارة الأوربية بعد[23]،أما مظهرهم الخارجي فتستعين الروائية بكلام الرحالة وليام هود عام 1816 حين يصف البدوي في شبه الجزيرة العربية – ضمنته في روايتها – فيقول: ((بدوي الصحراء كان مميزا عن غيره بعمامة مخططة فوق رأسه، وعليها جديلة مرنة ... كان متوحشاً، طليقاً، وذا نظرة مستعرة خاطفة، وطلعة متوفزة قلقة. لقد بدا وكأنه ملك الخلائق.))[24]كما تستعين الروائية بوصف المستشرق(اوبنهايم)الدقيق للبدوي في شبه الجزيرة العربية ((وقفة البدوي معتدلة جيدة، وحركاته هادئة وقورة تنم عن الارتياح مادام غير منفعل، الأمر الذي يحدث بسرعة شديدة، وقليلا ماتتجاوز قامة البدوي طولاً وسطاً، والبدوي في العادة أهيف الجسم رقيق الأطراف وأما وجهه فهو في العادة نحيف نحيل، ولونه بني يميل إلى الإصفرار، يزداد بياضاً في الشتاء

ويصبح داكناً في الصيف وتقع العيون اللوزية الداكنة على خطوط منحرفة تظللها حواجب كثيفة، وتظل العيون في العادة نصف مغمضة بسبب ضوء الشمس الساطع، أما نظرة البدوي فهي حادة وجبينه مرتفع، وأنفه معقوف على هيئة منقار الصقر ومقطعه دقيق .. وشفاه البدوي رقيقة دقيقة في العادة أذناه صغيرتان، أما يداه وقدماه فتتميز برشاقه ملفته للنظر، وتكاد أسنانه تكون ناصعة البياض دائماً وفي حالة صحية جيدة.))[25] وهم يعيشون داخل نظام قبلي متماسك يحكمه الأعراف والعادات والتقاليد، والقبيلة هي المرجعية الشرعية والاخلاقية لهم وليس القانون، و الرأي العام والخوف من السخرية ولوم الاخرين هي السلطة الوحيدة التي ينحني أمامها البدوي الأصيل، ويدعم الرأي العام الأعراف الأخلاقية غير المكتوبة للصحراء، التي يجب على كل بدوي احترامها، ويأتي في مقدمتها التضامن مع القبيلة والأخذ بالثأر ومن يخالف هذه الاعراف فقد اعتباره في القبيله وبين البدو بوجه عام.[26]والبدوي شديد الذكاء سريع التعلم وللكلمة عنده وقع بليغ في النفوس، لعله أمضى من وقع الحسام،[27]ولايزالون يفخرون أشد الفخر بحريتهم ويمتلكون شعورا جامحاً باستقلاليتهم ولايوجد مايعلو في نظرهم عن الحياة في الصحراء، وسنتبين ذلك كله من خلال رواية (سلطانات الرمل) التي تدور أحداثها من منتصف القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين ، فــيخبرنا الراوي بان ((الصحراء: المكان الذي يعطيك حرية إلى حد العصيان.))[28] فهم يحتقرون أي اكراه وأي حكومة وضرائب، كما انهم لايحبون البدو نصف الرحل أو الذين يمتهنون الزراعة ويمتلكون الغنم والماعز، ففي الرواية نجد (عنقا) ((لم تنس أنها ابنة عشيرة جمالة من أولئك البدو الملتصقون بالصحاري، لايفارقونها ولايتاخمون المدن، وإن حدثت تكون مناوشات لنهب اطرافها، وإن استضعفوها، اجتاحوها وسلبوها، وعادوا إلى صحرائهم يقتسمون

الغنائم وهؤلاء عرف عنهم احتقارهم للعشائر الغنامة لاقتنائهم الماعز والغنم دون الإبل ويقولون عنهم "رعية"))[29]. فهم يرفضون أي تغير في طريقة حياتهم، إذ يعد البدوي مزاولة أي عمل عدا القتال وركوب الخيل وبعض الأعمال المرتبطة بقطعانه وترحاله أمراً ماساً بكرامته، فهو يميل الى رفض كل ماهو جديد والتمسك بالنماذج الموروثة بحيث ينظر أفراده إلى أي تغيير كما لو أنه عملاً شاذاً ويشكل انتهاكاً لاشكال الحياة التقليدية السائدة لديهم؛ لذلك فالمجتمع البدوي مجتمع تقليدي يضم مجتمعات محلية تحيى في العصر الحاضر حياة تقليدية تتميز بالبساطة وتشابك العلاقات والنظم الاجتماعية[30]، وسنتعرف على أهم العادات والتقاليد البدوية خلال فصول الرواية.

المبحث الأول / العادات والتقاليد

هي مجموعة من سلوكيات مجتمع حسنة كانت أم سيئة، ويرى أبو حيان التوحيدي أن العادة طبيعة، ولكنها بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار.[31] وللبدو عادات كثيرة جدا انتقل بعضها بالتسلسل من الاباء إلى الأحفاد كما لو أنها شرعة لايجوز الاخلال بها، وبعضها نشأ بحكم الضرورة القاهرة من شظف العيش وقساوة البادية، ومرارة العيش فيها، وتمارس تلك التقاليد على الجميع من دون استثناء وهي تشكل ضغطاً اجتماعياً على جميع الأفراد، فلا يستطيع أحد التحرر منها وإلا سيعرض نفسه للإزدراء والاستخفاف وللعقاب احيانا والنبذ أحياناً أخرى، وقد يضطر من يخالفها إلى الهرب خارج القبيلة، وهذا هو السبب في استمرارها من قبل الاسلام والى يومنا هذا. ومن أخلاق البدو العزة، الأنفة، الشجاعة، الصبر، الجرأة في قول الحق، اغاثة الملهوف، اجارة المستجير، الوفاء، العفة، العفو عند المقدرة ويأتي الكرم والثأر في مقدمتها فهم في غاية الكرم حتى مع عدوه ويرى المستشرق (اوبنهايم) أن هدوء الصحراء ترك

((بصماته على البدوي، ثمة وجاهة لامجال لانكارها يتسم بها كل رب منزل. فهو يستقبل ضيوفه في خيمته كأنه أمير، حتى إذا كان لايستطيع أن يقدم لهم غير حليب الجمال والتمر.))[32]وقد ذكرت لنا الكاتبة الكثير من العادات الحسنة والغريبة في هذه الرواية نذكر أهما الثأر إذ يخبرنا الراوي بان البدو يتفادون الدم بشدة خلال الغزو((لكن عندما يحدث ويخضل الدم غزوة ما، فان نقطة الدم تلك لن تشربها الأرض كشيء يشبه رشفة أو لقمة، أنما كعقربة تتشبث بنصيبها من السم، ويبدأ تقليد الثأر عند البدو حيث يبدأ نزاع دموي وسنين عمياء وحشية طويلة.))[33]وهذه القيمة كانت شائعة قديماً عند البدو فاذا تعرضت قبيلة للغزو أو السطو على مواشيها أو محاصيلها، فان قبيلة المعتدي عليها تلجأ للثأر من القبيلة الأخرى بنفس الجرم الذي ارتكبته هذه الأخيرة.[34] ومن عاداتهم في الحروب يخبرنا الراوي بانهم كانوا ((ينتقون أجمل فتاة لديهم، وأعرقهن نسباً، تحمل في هودج على ناقة بيضاء، يصطحبونها معهم إلى الحرب.))[35] ويسمى هذا الهودج بالـــــــــ((عُطفة ترافقهم في حروبهم الكبرى، تحرضهم على القتال، تستفز هممهم وتستثير نخوتهم، تمتدح الشجعان وتقرع المتخاذلين وتهزأ بالمتراجعين وفي الحروب الدامية كثيراً مايتحول مكان هودجها الى مذبح تموت حوله الرجال، لأنه في حال انكسار قومها تسبى فتاة ((العطفة)) وتصبح من حق القبيلة المنتصرة وعادة يتزوجها عقيد الحرب أو شيخ العشيرة أو أحد أبنائه. واذا ماخسرت قبيل عطفتها لن يحق لها حمل العطفة مجدداً إلا في حال غنمت عطفة قبيلة أخرى وسجلت انتصاراً فائقاً.))[36] ومن عاداتهم أيضا أنهم ((يرغمون الهارب من ميدان الحرب على لبس ثياب النساء ولاينزعها حتى يبدي شجاعة فائقة في حرب الأخرى))[37]. ومن عاداتهم الغريبة التي ذكرها لنا الراوي العليم في رواية (سلطانات الرمل) هي ظاهرة قلب الأسماء أو تعديلها أو تغييرها وهذه

ليست موجودة إلا عندهم، ففي ((رأي أهل الصحراء على الأسماء أن تشبههم، أن تكون مثلهم، وللأسماء لديهم شروط، (...) فيحدث أن، يسمون طفلة ((نسمة)) وإذا ماكبرت قليلاً وأثبتت أنها صعبة الطباع ولاتشبه النسيم بشيء فانهم يبدلون اسمها ويصبح ((عنوداً)). مباشرون وصريحون عندما يختارون أسماء الإناث: فهدة، زبدة، نجمة، فضة، زينة، ثريا..))[38] ولذلك عندما أنجبت (حمرا الموت) فتاة صقيلة البشرة، بيضاء شفافة مثل المرآة أطلق عليها والدها اسم (مراية)[39]. وعندما ولدت (ابنة الكنج) وكانت طفلة بيضاء كالقطن سماها (قطنة)[40]– والتي بسببها اندلعت الحرب المشهورة إذ وقع (طراد بن الزبن) في غرام الفتاة الجميلة(قطنة) التي كانت أخت متعب شيخ السردية[41]، وقد وشحت الكاتبة الرواية بهذه الحادثة نقلا من كتاب البدو لـــ(اوبنهايم)؛ لتأكيد الحادثة، فقد ضمنت الكاتبة (لينا هويان الحسن) الرواية بالكثير من الأقوال والأحداث التي أخذتها من كتب المستشرقين لتأكيد الأحداث التي ترويها، مما جعل الرواية أقرب إلى السيرة الذاتية. –أما أم (قطنة) فاسمها (حمرا) ولما تسببت بمقتل عدد كبير من قبيلتها – سنذكر ذلك لاحقا – سميت بـــــ(حمرا الموت).ويخبرنا الراوي أيضاً أن ((للأسماء عندهم وظيفة بعينها: تستعيد روائح عابرة لقارات الزمن الفسيحة))[42] فلن نسمع عند البدو ((بأسماء مثل: شادي، تيم، سامي، رامي .. طفل في الصحراء يحمل مايشبه تلك الأسماء لن يعيش، ستلفظه مثل ذبابة، البدو فطنوا لشراسة الصحراء ودهائها، فناوروها باسماء عاتية تجاريها شهوة للقسوة.))[43]؛ لذلك نجد (طراداً) في الرواية لم يتمكن قط من تفادي شرح اسمه منذ دخل العالم الحضري، فقد سماه ابوه ((طرادا ليشبه طرادا اخر، كان نائباً عن البادية السورية ابتداء من العام 1932، كان ناطقاً باسم نواب العشائر، وكان البدوي الشهير الذي تحدث باللغة الفرنسية رافضاً العرض الفرنسي لانشاء حكومة للبادية مركزها

تدمر.))[44] ويضيف الراوي أن((لأسمائهم معجم يصعب على الحضر لفظه: مجحم، معجون، شلاش، ذعار[...] أما الأسماء الدينية مثل أحمد، محمود، حسن، محسن دخلت في النص الثاني من القرن العشرين إلى أوساط القبائل في بلاد الشام بعد أن حضرت عليهم الطروحات الاشتراكية عصبيتهم القبلية ووجدوا في الدين ما يعوض عن تلك العصبية، وأصبح الكثير منهم بحكم المتدينين الأشداء.))[45]ومن عاداتهم أيضا أن الزوجة وفاء لزوجها تضع وشماً على ساعدها على شكل (مخدة) كما أخبرنا الراوي العليم وهذا الوشم((كانت نساء البدو يحرصن على وشمه على سواعدهن لتضمن المرأة أن يكون ساعدها مخدة زوجها الدائمة.))[46]، ومن عاداتهم في العفو عند المقدرة، يخبرنا الراوي كيف أن (طرادا) اشترى روحه ونجا من الموت، فعندما طعن (فيصل) غريمه (طرادا) وأوقعه أرضاً ((صاح به (طراد): ((ياخيال امنع))، من عادة العرب في الغزو والحرب أنه يمكن للمطعون أن يطلب روحه دون أن يكون في ذلك انتقاصاً من رجولته ويعود القرار للطاعن،))[47] وهكذا اكتفى (فيصل) بنزع فرسه وترك لطراد روحه، وتزخر الرواية بالكثير من العادات والتقاليد البدوية التي لايسع البحث لذكرها.

المبحث الثاني /المرأة البدوية واقع ومكانة

تتمتع المرأة البدوية بقدر واسع من الحرية –على الرغم من اختلاف هذا المفهوم بين المدينة والصحراء– فلها الحق في اختيار زوجها في أحيان كثيرة، وتمشي لدى قبائل كثيرة سافره الوجه، فهي مصونة لايمسها أحد على الرغم من أن الأعمال الرئيسة في المضارب والخيام تقع على عاتقها، كجلب الماء المتعب غالباً وغيرها[48]، كما أنها تتمتع بحسن المنطق؛ لذلك غالباً مايكون لكلامها وقع في النفوس، فلأجلها تقام الحروب وتسفك الدماء، ومن الممكن أن يكن سبباً

للسلام، وهذا ماصرح به الراوي العليم ((ثمة معادلة هناك تقول: الحسناوات يشعلن الحروب ويكن سبباً للسلام))[49]، كما أنها من الممكن أن تأخذ بالثأر ان قصر الرجال عن ذلك.- كما سنرى خلال البحث – وقد قدمت لنا الروائية (لينا هويان الحسن) سيرة حياة مجموعة من النساء اللاتي أثرن بشكل ملحوظ في بادية الشام في منتصف القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، من خلال تنفيذهن لرغباتهن غير عابئات برغبة القبيلة، ووشحت روايتها (سلطانات الرمل – سيرة أشهر جميلات بادية الشام) بنصوص لأشهر المستشرقين الذين كتبوا عن البدو والبادية وعن الأحداث التي ذكرتها في الرواية، أمثال الليدي آن بلنت في كتابها(قبائل بدو الفرات)، واوبنهايم في كتابه (البدو) الذي يقع في أربعة أجزاء، ولفر تسيغر في كتابه (الرمال العربيه)،والكاتب والرحالة الأميركي ويليام ب.سيبروك؛ لتثبت للقارئ صحة المعلومات الواردة في الرواية، على الرغم من أنها اختارت أن يكتب على غلاف كتابها (رواية) مع العنوان الفرعي (سيرة)، فوضعت القارئ أمام نص يمتزج فيه الواقع المثبت بالدليل عبر النصوص التاريخية التي وضعتها للأحداث التي تسردها وبين خيال الكاتب تبدأ الرواية بالجزء الأول الذي وضعته لينا هويان الحسن تحت عنوان (حمرا الموت)، إذ قسمت الرواية على أجزاء ووضعت كل جزء باسم إحدى شخصيات نسائها اللاتي أطلقت عليهن (سلطانات الرمل) وترتبط هؤلاء النساء بعلاقات وثيقة الصلة فيما بينهن، فكل جزء في الرواية يدور حول امرأة هي ابنة المرأة التي كانت محور الحدث في الجزء السابق من الرواية وهكذا، فهي تستقرأ سيرة حياة جيل كامل من النساء وتبين لنا كيف انتقلت أهم الصفات خلال هذه الأجيال مثل غزة النفس والأنفة والكبرياء والذكاء والفطنة والحكمة أما (حمرا) بطلة الجزء الأول،فهي ابنة شيخ عشيرة طي التي عشقت عدو أبيها (أحمد بيك الأبو ريشة)

أمير قبيلة الموالي وواحداً من أشهر محاربي الصحراء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.[50] وكانت في غاية الجمال؛ لذلك كثرت عنها الأقاويل حول سر جمالها فيخبرنا الراوي عن ذلك((البعض قال إنها كانت ساحرة حرقت حافر حمار وحش وسحقته واكتحلت به، هاكذا قالوا عن سر نظراتها الذباحة، جسدها كان خالياً من الشعر مثل مرآة، بنات عمها قلن أنها صنعت خلطة من مخ أرنبة ومرارتها تحول دون انبات الشعر المنتوف، وحمت بشرتها البياء القرنفلية من النمش الذي تسببه شمس الصحراء بمرهم قيل أنها كانت تصنعة من مرارة ذئب مخلوطة بالورس ومن دم أفعى وزيت نبتة صحراوية صنعت مايجعل شعرها طويلاً كثيثاً لايمكن لأنثى أخرى أن تنافسها بطول جدائلها. وانتقمت لأمها التي ماتت مقهورة بسبب زوجة أبيها الثانية، بأن جعلتها تبول على بول ذئب فعقمت.))[51] هذه الأقاويل اعطتنا صورة عن الطرائق التي تستخدمها المرأة البدوية في تلك الفترة (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) لاظهار جمالها وهي جزء من ثقافتها، بدلاً من مساحيق التجميل التي تستخدمها المرأة الحضرية. ويصفها الراوي فيقول:((كانت رشيقة كغزالة، متنبهة كثعلبة، وشريرة كعفريتة فخورة كملكة إلى أن تأتي اللحظة المناسبة وتعلن عن حقيقتها بغتة واقفة مثل كوبرا))[52]ونرى من خلال وصف الراوي لـــ(حمرا) كيف أن تشبهاته كلها مأخوذة من البيئة المحيطة بهم فكل جزء في المرأة يشبهونه بلحيوانات؛ لان لايوجد حولهم سوى الصحراء والحيوانات والنباتات الشوكية، لذلك يقول الراوي العليم عن جمال (حمرا): كان ضارياً جارحاً. أحبت (حمرا) عدو أبيها وارسلت في طلبه – كما يخبرنا الراوي – ((دون أن يرف لها جفن. ضد القدر، ضد المنطق، لافرق لايهم كانت تريده بكل ما أوتيت من شغف ومكر وثبات أعصاب))[53] يخبرنا الراوي بانها أشهر رسالة حب في تاريخ البدو فلبى

(احمد بيك) طلبها وجهز أربعين فارساً في أشهر رحلة عرفتها البادية لجلب عروس ((وفي عز الضهيرة غزا قومها، وبلغ منزل أبيها [...] كل عبيد أبيها قتلهم البيك وجندل واحداً من أشقائها وعقيد حرب قومها، وأخذ حمرا معه.)) و((كما أرادت حمرا جاء البيك على فرسه البيضاء الشهيرة ليختطفها وسط الدماء والدموع ونحيب الأمهات اللواتي ثكلتهن حمرا بسبب خفقة قلب.))[54] ومنذ ذلك اليوم أصبح اسمها (حمرا الموت). أما(قطنة) فهي ابنة شيخ قبيلة السردية في بادية الأردن، الذي غزا الجزيرة الفراتية، وقد استعانت الروائية بوصف الأمير(أمين أرسلان) لـــــــ(قطنة) الذ رأها مرتين في عمان وضمنته روايتها اذ قال فيها: ((كانت لاتشبه أي امرأة أخرى رأيتها في حياتي، كانت أنثى مثل أنثى أي حيوان، ثمة شيء فيها حاد وموجع مثل حد السيف.))[55] كانت بيضاء كالقطن وهذا هو سبب تسميتها (قطنة) – كما ذكرنا سابقاً– و((حين بلغت(قطنة) الخامسة عشرة كان والدها ابن الكنج قد مات وتركها في عهدة شقيقها الأكبر (متعب)، وبدأ صيت حسنها يجتاح الصحراء، وحين بلغت العشرين كانت أينما مشت سحلت وراءها العيون.))[56] وقد قال عنها الكاتب والرحالة الأميركي (ويليام ب.سيبروك): ((الذين عرفوا قطنة وتحدثوا معها من بني صخر والسردية كثيرون، وكثيرون هم الذين مات آباؤهم وإخوتهم (منشان عيون قطنة) عندما التهبت فتوتها البهية، وروت الصحراء بالدماء من تدمر حتى حدائق بغداد))[57] كانت امرأة قوية تتمتع بجرأة وشجاعة عالية حتى أنها في احدى المرات وبغياب شقيقها (متعب) مع خيرة الفرسان عن المضارب، غزتهم عشيرة (الرولة) ونهبتهم وخلفت واحداً من أشقائها قتيلاً وعشرة مدافعين آخرين فعلا عويل النساء بعد انتهاء الغزو إلا (قطنة)، فيخبرنا الراوي أنها بزغت ((على ظهر ناقة بيضاء مغطاة بحرير أحمر وقد ضفرت ليرات الذهب مع شعرها ووراءها خادمتها على

ناقة حملتها كل ذهبها وحريرها، وسارت الناقة تشق طريقها بين الرجال الذين ظلوا في المخيم، وتخاذلوا وقصروا عن اللحاق بالغزو))[58] ويفسر لنا الراوي تصرفها هذا ((العربية حين تفعل ذلك كأنها تسلم نفسها للعدو لإلحاق المزيد من العار بقومها إذا مارأت فيهم جبناً أو خوفاً وخرجت من فمها كلمات قصيدة شهيرة لازالت تحفظها الصحراء، تذل فيها أبناء قومها اللذين تأخروا عن اللحاق بالغزو وأخذ الثأر للقتلى.))[59] وعلى أثر تلك الحادثة ضاع صيتها وراح يتقدم لها الخاطبون من أنحاء مختلفة من البوادي والصحاري، ولكنها وقعت في غرام (طراد بن الزبن) شيخ بني صخر الذي كان((له جسم نمر نصف جائع))[60] ولايوده مطلقاً شقيقها (متعب الكنج) – سنعرف السبب في المبحث القادم – فرفض تزويجهما ويخبرنا الراوي بأن (متعب) ((عمد إلى تقليد بدوي صارم يؤكد الرفض المطلق (اذهب ولاترجع) ذلك لما ابتعد طراد خمسين خطوة عن البيت رفع مسدسه وأطلق ثلاث طلقات نحو السماء رسالة على الطريقه البدوية تقول: إذا عدت ستقتل.))[61] وزوجّها شقيقها بسرعة إلى شيخ عشيرة (الرولة) عدوتهم اللدود. ولما كانت تتمتع به المرأة البدوية من مكانة وقيمة كبيرة، فقد عرفت الصحراء ((أشهر مهر دفع لعروس))[62] فكان مهر(قطنة)((خمسمائة ناقة بيضاء وثلاثين بندقية وستين حمل جمل من الحبوب وسروجاً وبسطاً، أي مايعادل تقريباً نصف ثروة قبيلة.))[63]وظن الجميع أن (قطنة) ستكون سبباً للسلام بين عشيرتين متحاربتين منذ عهود طويلة[64].وزفت (قطنة)إلى عريسها، وفي الليلة ذاتها ((أغار (طراد بن الزبن) على ظهر فرسه الشهيرة (رفعة) مع خيالته من بني صخر على عشيرة الشيخ (سطام) زوج(قطنة) وخلف القتلى وراءه، وساق الكثير من إبلهم وهو يصيح (منشان عيون قطنة)ونشبت الحرب بين القبيلتين))[65] ولتؤكد لنا الروائية (لينا الحسن) صحة ماذكرته في روايتها عن

(قطنة) تنقل الحادثة عن لسان (أوبنهايم)،الذي أشار اليها في كتابه (البدو) فكتب: ((ومن الأحداث المشهورة بشكل خاص الحرب التي اندلعت بسبب وقوع "طراد بن الزبن" في غرام الفتاة الجميلة "قطنة" اخت متعب شيخ السردية. وقد وصف بالتفصيل هذه الحرب كل من شوماخر وموزيل.))[66] ويخبرنا الراوي بانه ((خلال أقل من سنة مات الكثيرون "منشان عيون قطنة"))[67] ولهذا السبب؛ انصب الكره الأعمى على (قطنة) كرهتها النساء وتربصن بها كلما خرجت من خدرها، هن يهمسن أقصى اللعنات ويدعونها ((حُرْمة دِما، وحُرْمة(حمرا)))[68] وكانت(قطنة) ((تسمع كل ذلك وتلوذ بكبريائها بصمت، وتتجاهل همسهن الغاضب وتكمل طريقها))[69] كانت ذات كبرياء وجرأة عاليين، فعقب مذبحة أخرى فعلها (طراد) بحق عشيرة الزوج، تجمعن النساء أمام خيمتها حقدا عليها، فخرجت بكل كبرياء[70] كما يخبرنا الراوي ((وقالت مالايغتفر: "تنجبن غنماً ليذبحهم طراد، اذهبن إلى طراد واستلقين على ظهوركن لتنجبن الرجال" قالت ذلك وجثمت أمام سطام وعرضت حنجرتها لسيفه.))[71] لم يطاوعه قلبه أن يقتلها ولكنه طلقها، ويخبرنا الراوي ((في ذات الليلة أخذت الماء والخبز وعلى ظهر ذلول اتجهت الى ديار بني صخر حيث طراد.))[72] وفي طريقها أرسلت له خبراً بقدومها إليه، فقال طراد قولاً شهيرا تحفظه الصحراء كلها للراعي الذي جاء بخبر قدومها، كما أخبرنا الراوي ((إن كانت قطنة قد تركت سطام من تلقاء نفسها أعطيك ثلاثة أضعاف ماطلبت، أما إذا تركته رغماً عنها عماني الله إذا نظرت إلى وجهها.))[73] وبعد وصول قوله هذا إلى (قطنة) لم تحتمل الاهانة فغادرت على ظهر ناقتها من دون زاد أو ماء واتجهت صوب عتمة الصحراء ولم يُسمع عنها شيئاً؛ لأنها – كما يخبرنا الراوي – من البشر((المصنوعين من الأنوف، أنوفهم تصلصل، ترن تعصف، لاتأفل.))[74] أما (مراية) فهي ابنة (حمرا الموت)

وأخذت ما أخذت من صفات والدتها من الجرأة والشجاعة فكانت –كما يخبرنا الراوي– ((مدللة أبيها وأشقائها زُفت لعقيد حرب قبيلتها وواحد من أبناء عمومتها هو "رديني أبو الدندل"))[75] ولكنها كانت تعشق (جدعان) شيخ عشيرة من عشائر العنزة فدارت حولهما الشائعات التي وصلت إلى زوجها، وعلى الرغم من الصداقة القوية التي كانت تجمع بين (رديني) زوج (مراية) و(جدعان) إلا أن (رديني) بقي يحمل في داخله حقدا تجاه صديقه بسبب تلك الشائعات، ومن وقت لآخر يرمق (مراية) بنظرات مشككة طالما أرقتها، حتى أنه بدأ يتقاعس عن نجدت صديقه في حروبه، وبعد مدة قليلة تواجها في معركة كعدوين وربح (رديني) زوج (مراية) المعركة، ولكنه خونها وصارحها بما تناقتلته الألسن عن غرامها بـــ(جدعان)، فلم تتقبل الإهانة وعادت إلى أهلها وطلبت الطلاق في الحال، وهنا نلمس جرأة المرأة البدوية التي لم تكتفي بالطلاق فحسب لاسترداد كرامتها، وانما سعت لعقابه أيضاً فيخبرنا الراوي عن ذلك بقوله: ((ولتعاقبه أكثر أرسلت وراء "جدعان" ليتقدم لها وكان لها ما أرادت.))[76]وجعلت (("رديني" يكظم غيظه وحزنه وندمه على ماكان منه.))[77] كما يخبرنا الراوي كيف أنها أخذت بثأر أخيها الأمير (الذبلان) الذي قتل غدراً في احدى الغزوات، ولم تقبل دية الأمير التي ((تعادل"ميّة خيال" أي تدفع دية مئة رجل ورجل))[78] إذ جلس الجميع في منزل شيخ العشيرة الذي تقرر أن تكون محاكمة القاتل فيه وأمام ((باشا حلب والمفتي وأشهر قضاة البدو))[79]جاءت ((ابنة "حمرا الموت" أنهت المحاكمة بسرعة، حملت مسدساً لزوجها وبخطى سريعة حاسمة دخلت الربعة وسط ذهول الحاضرين، وأطلقت الرصاص على قاتل أخيها وأردته قتيلاً وهي تقول:"ياريت قتالك قتيل ودمه على دمك يسيل"))[80] ويفسر الراوي العليم قولها هذا من دون أن يترك المجال للقارئ ليفكر بكلامها فيقول: أي ((يجب أن يكون

الثأر سريعا قبل أن يجف دم القتيل))[81] وبسبب هذه الحادثة تشاجرت مع زوجها لتمردها واستعجالها بأخذ ثأر أخيها فتطلب منه الطلاق لتعود وتتزوج من زوجها السابق (رديني أبو الدندل) لتنجب منه فيما بعد صبياً جميلاً. وتعود الروائية (لينا هويان الحسن) في فصل جديد من الرواية لتقص لنا قصة (عنقا) ابنة (قطنة)، فيخبرنا الراوي بأنها كانت الزوجة الثانية لـــ(رميح) و((منشان عيون قطنة" أمها كان قد فقد اثنين من أشقائه.))[82] كان يحبها ويضربها بشدة حتى أنها أجهضت لمرتين بسبب نوبات الضرب التي أدمن عليها وبعد سنوات عده من الشقاء تهرب (عنقا) إلى بيت أهلها وهي في حالة مزرية بالكاد تمشي كما أخبرنا الراوي، لكن زوجة شقيقها تستغل غياب زوجها (شقيق عنقا) لتتركها لمصيرها فـــــ((منعت منها اللحم، بالكاد سمحت لها بالخبز، رفضت حتى تقديم مغلي الأعشاب لعل "عنقا" تموت))[83] كان الجميع يكرهونها بسبب والدتها، لكن (عنقا) لم تستلم للموت فهي امرأة قوية، شجاعة، فتتفق سراً مع العجوز (جرجس) الصديق العتيق لوالدها الذي كان يأتي إلى البادية باستمرار للصيد، وتستغل مرور جماعة من الغجر فتهرب معهم لقاء مبلغ من المال، لتصل إلى بيروت مع العجوز (جرجس) الذي كان خريج الجامعة الأمريكة لتستقر في بيته مع زوجته (روز) التي كانت على قدر عال من الثقافة، فتبقى عندهم لمدة ثلاث سنوات وتغير اسمها إلى (ليز) وهو الاسم الذ أطلقه عليها (جرجس) لأنه كان اسم ابنته التي تدرس في الأرجنتين، وفي بيته تتعلم من زوجته القراءة والكتابة ثم تدخل المجتمعات الراقية وتمتهن مهنة التمريض بعد أن تتدرب عليها، وبكل بساطة تقيم علاقة مع (خوسيه) ابن العجوز (جرجس) القادم من الأرجنتين وتعشقه، وبعد رجوعه إلى هناك تبقى وحيدة، فيقودها القدر مرة أخرى إلى الصحراء، إذ تتعرف إلى (دندل) ابن (مراية ورديني) في بيروت وتقع في حبه فيتزوجا ليعود بها إلى الصحراء

لكنه لايكشف عن أصلها ومن تكون فيخبرنا الراوي ((ظلت "عنقا-شمس" معشوقة زوجها الدائمة رغم غريماتها الكثيرات، قريباته وبنات عمه اللواتي اعتبرن "دندل" حقاً لواحدة منهن وليس لفتاة غريبة مات أهلها جميعا كما روى "دندل"))[84] وقد أنجبت له تسعة بنين وابنتين (سكرى) و (منوى) لتبدأ حكاية فصل جديد. كانت (منوى) فتاة العطفة لقومها - كما ذكرنا سابقاً- لكنها كما يخبرنا الراوي ((اختلفت عن بقية بنات العطفة أو العماريات، لم تركب الهودج وتكتفي بقول أشعار الحماسة، اعتلت فرس قتال وحرب [...] وأخذت "منوى" مكانها مع فرسها في المضمار الخلفي لفرسان قبيلتها وراحت تجوب المكان بالعرض، كلما رأت واحداً من فرسان قومها تخاذل متراجعاً للوراء عدت نحوه وقامت بتلويثه بالمغرة أسفل ظهره، لتسمه بعار الهروب.))[85] وهكذا انتصر فرسان قومها في وقعة شهيرة بفضل دهاء وجرأة (منوى) حتى أن ثلاثة رجال ممغورين لم يتحملوا مذلة منوى فغادروا مع عائلاتهم إلى اطراف مدينة حلب منسلخين عن بداوتهم على أمل التحول إلى حضريين[86]. كانت (منوى) في الخامسة عشر من عمرها وقد وقعت في غرام ابن عمها (النوري) لكن والدها رفض تزويجها منه، وزوجها لشيخ عشيرة أخرى يكبرها بأكثر من ثلاثين سنة، كان عضوا في المجلس النيابي ويتزعم عشائر عدة زعامة مطلقة، وبقيت عنده اربع سنوات وانجبت له طفله سمتها (فكرى)، لكنها بقيت متعلقة بحب (النوري) فتنفصل عن زوجها تاركة طفلتها للقدر لتتزوج بـــ(النوري) بعد سبع سنوات ((عقب محاولات ومناورات ومشاجرات أزّ الرصاص خلالها، عندما كاد أن يقتلها أبوها حين رفضت الزواج من رجل آخر اختاره لها، أصرت على أنها لن تتزوج بغير "النوري" الذي حاول ارضاء عمه بشتى الوسائل.))[87] أما ابنتها (فكرى) فتأخذ الفصل الذي يلي فصل والدتها في الرواية، لكنها تعيش حياة

مختلفة عن والدتها إّذ تذهب إلى المدينة وتعيش هناك وتمر بأحداث لايسع البحث لذكرها بقي لنا في هذا المبحث أن نذكر ملابس المرأة البدوية في هذه الفترة التي تتحدث عنها الرواية وهي النصف الثاني من القرن التاسع عشر فيخبرنا الراوي عن ذلك قائلاً: أن ((عقد الثمانينات سجل أواخر ملامح اللباس البدوي التقليدي حيث كان يمكن أن تشاهد لباسهن الطويل والحرير الارجواني الشهير الذي يخالطه السواد، يؤطرن فيه روؤسهن يأخذ شكل القلنسوة المخروطية، مضفياً ملمح التاج على الرأس ويمكن أن تشم رائحة تلك المستحضرات التجميلية الخاصة بهن، القرنفل والخضيرة والمحلب والمسك، حيث وحدهن كنّ يمتلكن أسرار تلك الخلطات.))[88] فـــ((القرنفل هو الوردة التي يعرفها البدو عز المعرفة، فقد وصلتهم منذ دهور عتيقة عبر القوافل القادمة من الهند المحملة بعقود القرنفل المجفف، تصنع منه البدوية عقداً على مقاس جيدها تماما ولاتخلعه قبل مرور عام أو أكثر لتستبدله بعقد أخر، لأنها تعرف مقدار أهمية هذا العقد الذي تتجدد رائحته كلما بللته الماء. لهذا تفوح رائحته عقب الاستحمام وفي حالات التعرق.))[89] ويمتعض الراوي العليم من موجة التحضر التي اشتاحت البوادي فصار اللباس ((مزيجاً هجيناً من الأزياء، قبيحاً ولايمت بصلة للماضي الأنيق.))[90]

المبحث الثالث / الحياة الاقتصادية عند البدو

يرتبط الاقتصاد بالزمان والمكان، والانتاج الاقتصادي رهين البيئة بكل تفاصيلها، وبيئة الصحراء معروفة بقلة مياهها وضيق الأراضي المزروعة؛مما جعل البدو يكرهون الزراعة ويحتقرون من يمتهنها وينظرون إلى البدو الذين يسكنون ضفاف الأنهار و يمتهنون الزراعة بانهم بدو من الدرجة الثانية – كما ذكرنا سابقاً –ويرى الناقد سركيس أن البدو لو كان لديهم مياه فائضة وأمطار

غزيرة لما كرهو الزراعة ولما ازدروا شأنها، فحرمانهم من الماء جعلهم يبتعدون عن الزراعة، لذلك اختلفت عنهم أهل اليمن وبقية القبائل العربية الجنوبية ممن وجد عندهم الماء.[91]لذلك لم تكن خيارات البدو في الحصول على رزقهم كثيرة فهي محدودة جدا نظرا لطبيعة البيئة الصحراوية ومن تلك المصادر الرعي، الصيد، الغزو، المقايضة وتجارة الخيول.

الرعي: يشكل الرعي نمط حياة البدو واسلوب معيشتهم فهو الأكثر ملاءمة للبيئة الصحراوية التي تمتاز بقلة أمطارها ومناخها الجاف في أكثر أيام السنة، والماشية هي الثروة الوحيدة لأهل البادية؛ هذا ماجعلهم يبحثون عن الماء والكلأ من دون ملل للحفاظ على تلك الثروة، فهم يعتاشون على ألبانها ولحومها كما أنهم يتاجرون بها[92]، ويخبرنا الراوي أن (دندل) كان ((يبيع منها كل عام من ثلاثين إلى خمسين رأس من الماشية، ومن واحد إلى اثنين من الخيول.))[93] وفي الغزوات كان يسرقون المواشي فيخبرنا الراوي كيف عمدت سرية هجانة تدمر إلى مهاجمة احدى العشائر وفتكت بافرادها ونهبت ((أكثر من ثلاثة الاف رأس من الماشية.))[94] أما الغزو فهو عماد حياتهم كما يرى أحمد أمين[95]، ويذكر (اوبنهايم) في كتابه (البدو) إن حكومتا الانتداب الفرنسية والانكليزية بذلت جهودا كبيرة من أجل القضاء على عادة الغزو ولكن من دون جدوى[96]. إذ يعد البدو الغزو وأعمال السلب والنهب أفعالاً بطولية[97]؛لذلك يربي البدوي منذ طفولته الأولى على الصلابة والصمود تجاه سائر الأخطار والآلام ؛لان حياة البدو تتكون من صراع متواصل من أجل البقاء في مواجهة الطبيعة والبشر[98]،وفي الرواية يخبرنا الراوي عن الغزوبأنه ((تقليد عتيق، حملوه من ذاكرتهم الوثنيه وتحدوّا به الزمن، إنه عملية الإنتزاع المموهة بالسطو التي تتم وفقاً لقوانين غير مكتوبة، شيء يشبه السرقه، لكنه ليس كذلك، ويشبه الغارة، لكنه غزو، ويتحول إلى حرب

أو سلسلة معارك عندما تسيل الدماء. والدماء هي الشراك التي تنتشر على خارطة التقاليد البدوية وتجر أفراسهم نحو هوتها.))[99] وفي هذه الغزوات لايحمل البدو معهم إلا مايحتاج إليه أشد الحاجة من غذاء وماء، وهي عملية تتطلب أعلى قدرة من الصلابة والمقدرة على تحمل الحرمان، ويشارك أبناء الشيخ وهم لايزالون أطفالاً[100]، فيندفع البدوي إلى أبعد مدى في قتاله إذ ماهدد شيء مرتكزات وجوده المرعى والماء. ويذكر لنا الرواي كلما يحدث خلال للغز وقبله من تجهيزات، كارسال الجواسيس الذين يطلقون عليهم(السوابير) وطرائق تقسيم المقاتلين إلى (الغوار) و(الكمين) و(المدافعين) وكل مايدور داخل المعركة مع أدق التفاصيل.[101]وعادة يكون الغزو خارج المضارب وإذا ماحدث غزو على مضرب خيام معاد ويتم نهبه لأحد يقترب من النساء والأطفال، كما يمكن أن يفر من يصاب بالأذى عندما يكون عاجزاً عن القتال وهو عرف بدوي قديم إذا كانوا عاجزين عن المقاومة من دون أن يكون هناك انتقاصاً لرجولته، لعلمهم أن المنتصرين لن يلحقوا الأذى بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم، إذ يترك المهاجمون المنتصرون الطعام وحيوانات الركوب للنساء ليتمكن من النجاة بأنفسهن[102].وهذا مايؤكده لنا الراوي ((الغزاة يتحاشون الاقتراب من النساء والعذارى والأطفال، وفي أغلب الأحيان يجري القتال خارج المضارب.))[103] ويرى المستشرق(أوبنهايم) أن مهما يكن من أمر البدوي فهو ((يحمل صفات حقيقية هي الانسانية والفروسية والشهامة))[104] فهو يكتفي بالغنيمة التي استولى عليها ((صحيح أن البدوي قد يأخذ قمصان من في القافلة إلا أنه لن يقتلهم بالتأكيد وسيعطيهم الزاد والماء ويرشدهم إلى طريق أقرب قرية، [...] لايقدم أبداً على اختطاف البشر من أجل ابتزازهم والحصول على فدية مالية على غرار مايحدث في أمريكا أو الصين.))[105]

الصيد: الكلاب

كذلك للصيد دور كبير في حياة البدو عبر العصور لأنه العرب أمة متبدية تعيش في الجزيرة العربية عيشة الاملاق، ومن طبيعة أهل الوبر إذا أملقوا أن يعتمدو في عيشهم على الصيد، وأن يتخذوا من الحيوان مادة حياتهم الأولى، فيقتاتوا بلحمه إذا عضهم الجوع، ويصطلوا بعضمه إذا مسهم البرد، ويستنيروا بدهنه إذا أظلم عليهم الليل، ويتخذو من أوباره غطاء وكساء، ويجعلون من جلوده باطاً وسقاء[106]، فضلاً عن كونه ضرب من ضروب الرزق ومتعة من متع النفس ولون من ألوان الحرب أيام السلم[107]، لذلك تعددت طرائقه ووسائله وتنوعت أسلحته، فكان البدو يصيدون بالكلاب والصقور وبمساعدة الخيول فاهتموا بتربيتهم، فالكلب هو رفيق البدوي وصاحبه الأمين الذي لايفارقه، ويخبرنا الراوي عن كلبة (طراد) التي أطلق عليها (سودة) قائلاً: ((وفي الشتاء كانت تشاركه فراشه وعلمته جدته شمس كيف يعتني بكفها، فراح بين وقت واخر يغمسها بأعشاب متنوعة منقوعة بالخمر، كانت سودة وسيمة فيها مواصفات السلوقي الأصلية.))[108] ويضيف الراوي العليم الذي دائماً مايتدخل في السرد ويقطعه معلقاً ومفسراً، عن سبب تسمية هذا النوع من الكلاب بـــ(السلوقية) فيخبرنا ((كان لـــ "طراد" ولع خاص بكلاب سلوق، كلاب عربية نبيلة تنسب إلى أرض "سلوق "في اليمن، ويحكى أن كان لهذه الكلاب نسابون مثل نسابي الخيول ويحبها العرب بقدر مايحبون خيولهم، ويعتزون بالفارهة منها كما لو أنها فرس أصيلة. كان يطلقون عليها أسماء مثل: سحام وسهلب وجدلاء ومقلاء وسرحان.))[109] ويخبرنا الراوي عن صفات هذه الكلاب وطريقة صيدها لاسيما اناثها فيقول: ((إذا عاين الظباء بعيدة كانت أو قريبة، عرف العنز من التيس وحين يقصد القطيع يقصد التيس منه ويترك العنز رغم أنه يعرف بأن التيس أبعد

وثباً من العنز، لكنه يعرف أيضاً أن التيس بعد أقل من شوطين يحضره بوله ويبطئه فيثقل عدوه ويقصر مدى وثبه فيحضى به ويكسر عضمه.))[110] أما اناث السلوقين فيعجبهم فيها ((حسها وسمعها وبصرها ووحدها الكلاب السلوقية لاتفوتها حيلة الثعلب حين يتماوت لأن لديها القدرة على تمييز الميت، وهي قدره ليست موجودة في غيرها من الكائنات الأخرى.))[111] كان (طراد) يفضل اناث هذه الكلاب حتى أنه بعد أن أصبح كاتباً مرموقاً أخذ يصف كلبته (سودة) بالتفصيل وصفاً دقيقاً وجميلاً ((لها رأس خشف، جمجمة صغيرة منسابة مثل جمجمة طائر، ومقلتاها مثل مقلتي بقرة وحشية، خطمها دقيق وشدقها واسع وجبهتها ناتئة وعريضة وأنفها نافرة مثل فستقة، [...] يداها قصيرتان ورجلاها طويلتان تتبع بهما الأرنب في الاراضي الوعرة المرتفعة، ولا أكمل من غلظ العضدين واستقامة اليدين وانضمام الأظافر حتى لايدخل بينها تراب أوطين، ودقة وسطها وقصر ذنبها ودقته وصلابته مثل عود خشب.))[112] كما كان البدو يصيدون الجراد في المواسم التي يجتاح فيها الصحراء، وكان (طراد) مولعاً بمشاركة النساء في كامل طقوس اعدادها ويخبرنا الراوي بان (طراد) كان يستنفر مع بقية النساء والأولاد والفتيات ((ليقوم بأجمل عمل، وتبدأ أكبر عملية جمع للجراد الذي يوضع في أكياس قماشية تسد حتى لايقفز منها ثم تنقل على ظهور الجمال والحمير إلى المنازل وهناك تفرغ في قدور ضخمة مليئة بالماح والملح ويتم غليها لساعة تقريباً، ولاحقاً تنشر تحت الشمس حتى تجف وتذرى، حين تنفصل السيقان والمجسات والأجنحة وتذروها الرياح يحفظ الجراد اليابس في أكياس ضخمة، كان يحبه طازجاً مقلياً ومحمراً بالسمن، وفي الشتاء يحبه مسحوقاً بمدق الهاون يأكله ممزوجاً بالبن.))[113] وبهذا اعطتنا الروائية (لينا

هويان الحسن) صورة كاملة عن هذا الطقس، فضلاً عن كل الطقوس الأخرى التي تخص البدو.

• **الصقور:** أما الصقور فنظراً لأهميتها في حياة البدو فقد أفردت لها الروائية جزء كاملاً من الرواية ووضعته تحت عنوان (صقور) فالبدو يحبون الصقور ويبرعون في تربيتها وتدريبها على الاصطياد لهم، ويتعاملون معها بشكل لافت للنظر حتى كأنهم يعرفون بما يسمى اليوم بالطب البيطري، فهم يعرفون عنها كل شيء من الناحية البايلوجية ويقدمون لها العلاج إذا مرضت، إذ يخبرنا الراوي كيف أن (حمرا) كانت تعرف عن الصقور أشياء كثيرة فكانت تحمل صقر زوجها في الشتاء ليلاً ((وتطعمه قبل يوم صيده بيوم واحد فرخ حمام شرب خلاً صرفاً، وتدهن منسره بزنجبيل مدقوق مع سرة حصان، وتوصي عبد زوجها "قبيل اطلاقه على الفريسه، ألقمه قطعة لحم منقوعة بالخمر ذلك يدفعه على الإقدام أكثر"))[114] كما كانت تعرف (حمرا) أن الصقور قد تغادر صاحبها بلحظة حنين عاصفة للبرية ((لهذا جعلت "حمرا" الكافور في مائه لتبتر شهوة الحب لديه فينسى الأنثى))[115] كما يخبرنا مستغرباً بأن ((حتى ذرق الصقر كانت "حمرا" تعرف دلالته، ذرق الطير السليم يجب أن يكون متصلاً غير منقطع .. وإذا لمحت فيه الدود تنقع اللحم بماء مع حب رمان حامض ثم تطعمه، وإذ كان لايهدأ على دكته ينزل ويصعد فإنه يعاني من البواسير، تحقنه بزيت الكتان أو تولج في دبره زيت البطم، إن رأته فاغر الفهم، يلهث، لسانه بارز، وجاحظ العين، منضم الريش والجناحين، تعلم أنه مصاب بالحمى، فتقطر في منخره ماء فيه كافور أو ماء الورد أو البنفسج، وتدهن بهما رأسه.))[116] وهكذا يستمر الراوي في سرد الأمراض التي قد تصاب بها الصقور وطرائق معالجتها عند البدو، أما طرائق صيدها وجلبها إلى الصحراء فيخبرنا الراوي بأن ((البدو لحقوا بالصقور إلى

منغوليا فعلوها في أوائل الثمانينات حين أخفق الكثير منهم بالتحول إلى فلاحين أو حضريين.))[117] ويروي لنا كيف أن صديقا (طراد) عرضا عليه مشروعاً وهو قنص الصقور الحرة في منغوليا، وقد ذهبوا بالفعل، بعد أن انهوا أوراقهم الرسمية وبعد معاناة تمكنوا من اصطياد عدد منها ورجعوا بها إلى البادية وباعوها إلى أمرائها وحصلوا على مبلغاً كبيراً من المال.[118] ويخبرنا الراوي بتفاصل رحلتهم وطريقة صيدهم للصقور بأدق التفاصيل في صفحات طويلة من الرواية، وكيف أنهم أخذوا معهم امرأة عجوز من قرية صغيرة في منغوليا((قيل لهم إنها خبيرة بأماكن تواجد الطيور الجارحة))[119]ولتؤكد الروائية صحة المعلومات الواردة عن الصقور في روايتها ذكرت لنا نص من كتاب الليدي (آن بلنت) (قبائل البدو) وهي تروي عن علاقة الصقور بالبدو وكيفية التناغم الحاصل بين الصقور والكلاب وسيدها أثناء الصيد.[120] – لايتسع البحث لذكره – كما يخبرنا الراوي بذهاب (النوري) إلى روسيا لصيد الصقور ومجموعة من الطيور النادرة التي عاد بها إلى الصحراء وباعها هناك ليقدم مهرا يليق بابنة عمه (منوى). – كما ذكرنا في المبحث السابق–

• **الفرس** : أما الفرس فـــ((تلعب دوراً كبيراً في حياة البدو، فهي مناسبة للغزو أكثر بكثير من الحصان؛ لأنها هادئة لاتصهل، وتعد أسرع منه وأكثر قدرة على الاحتمال))[121] وقد أفردت الروائية فصلا من الرواية تحت عنوان (الفرس رفعة) وهي فرس (طراد الزبن)، ويصفها لنا الرواي ((هنالك فرس اسمها "رفعة " وسيمة، حسناء، ضامرة الخصر مثل امرأة، دقيقة الخطم رفيعة الشفتين لحد أن صاحبها "طراد الزبن" شيخ بني صخر كان يشربها من القدح الصغير الذي يشرب فيه.))[122] كما أفردت فصلاً آخر تحت عنوان (الخيول)، ويخبرنا الراوي عن سبب حب البدو للفرس على وجه الخصوص فيقول: ((هي سحب البدو التي

تتحرك تحتهم، يحبونها هادئة لاتصهل، تتقن التواطؤ الذكي مع تحركاتهم في ظلام ليل حرب أو التسلل كمقدمة لعملية غزو كبيرة، تشارك فارسها شجاعته وهو يحدق في وجه القدر الغامض الملامح. تشاركه في عادته في المشي تحت أضواء كواكب منتصف الليل.))[123] ولايبيع البدوي فرساً من أفراسه إلا على مضض في الوقت الذي يبيع فيه الأحصنة، فهو يحتفظ بعدد قليل منها للتلقيح.[124] ويخبرنا الراوي عن ذلك ((على مضض يبيع البدوي واحدة من أفراسه، إنهم يبيعون الأحصنة ويتركون العتاق الأصائل منها لأجل التلقيح ، يربون أفراسهم مع أولادهم ومعهم تعدو مثل حياتهم على جناح الريح.))[125] فهي تمثل رأس المال عند مالكها؛ لأنها تهبه أمهاراً لذلك يعلق البدوي أهمية كبيرة على نقاء سلالة خيوله[126]، وهذا مايؤكده لنا الرواي، فيخبرنا كيف أن (طراد بن الزبن) عرض حياته للخطر في سبيل تلقيح فرسه (رفعه) بالـــ(الرثعومي) فيقول: ((كان حصاناً أدهما مثل عتمة ليل شتوية، يملكه رجل اسمه فيصل، شيخ لواحدة من عشائر العنزة.))[127] و(طراد) ((مثل أي بدوي حين يغار على أنثاه لم يرض لفرسه رفعه أن يقفز عليها إلا أكثر أحصنة الصحراء نقاء وأصالة. أخيراً اختار لها "الرثعومي"))[128] لكن ثمة مشكلة فهناك عداوة قديمة بين القبيلتين وعلى الرغم من ذلك كان (طراداً) عنيداً فأرسل إلى (فيصل) صاحب (الرثعومي) عروضا مغرية لتشبيتها طمعاً بالحصول على مهرتها، لكنه رفض، وكان يقول: ((من يحضر لي الفرس "رفعة" أزوجه الفتاة التي يريدها.))[129]مما اضطر (طراداً) أن يأخذ ((قراراً فيه غاية المخاطرة والجرأة))[130] إذ سرى ليلاً إلى قبيلة (فيصل) صاحب (الرثعومي) ووصل بيته وكان أهل البيت نياماً، فربط فرسه بالواسط وهي عادة عند البدو دلالة على استجارة وطلب كبير، وفي

الصباح حين استفاق (طراد) سأله (فيصل) في دهشة ودار بينهما الحوار الاتي:((

– هذه رفعة وأنت "طراد" ؟

– كله ؟ ...

– أله لايرحم أبوك..قال ذلك فيصل وقد سحب رمحاً قصيراً يسميه البدو"شلفة" وقال مهدداً

– براس الشلفة أذبحك وآخذهها ..

– إذن أنا داخل عليك، قال "طراد" ذلك وهو يشير إلى الفرس المربوطة بعمود الواسط.

– ما الذي أتى بك وتعرف أني "أتوعدك" ؟َ ..

– لن أحل رسنها من الواسط إلا إذا لقحت من "الرثعومي"

– إذن تعاهدني بالله أن لاتلد إلا بالمكان الذي تشبت فيه.

– أعاهدك والله. أحضر "فيصل" وجهاء عشيرته وذبح خروفاً وعقب الغداء شهد الحضور على العهد الذي قطعه "طراد".))[131]وهذا الحوار يدلنا على مدى اهتمام البدو بنقاء سلالة خيولهم حتى لو اضطرهم الأمر للمخاطرة بحياتهم كما فعل (طراد بن الزبن). وفي صباح اليوم التالي قصدوا واحدة من الفياض الخصبة بانتظار أن تلقح (رفعة) وبعد أن لقحت غادر الجميع، وفي الربيع التالي عاد (طراد) إلى مضارب (فيصل) ليفي بالعهد الذي قطعه على نفسه لتلد (رفعه) في نفس المكان الذ تشبت فيه، ويخبرنا الراوي بأن (رفعة) ((وضعت فرسه مهرة دهماء بنجمة بيضاء على جبهتها، وغرتها تصل أنفها، خلال ذلك لاحت له عن بعد "شلفة" فيصل على ظهر"الرثعومي" قادماً يلوح بسلاحه، يومها قال: "براس الشلفة" يعني أنه سيبارزه ويأخذ "رفعة" ومهرتها بعد أن يرديه،))[132] فهرب (طراد) على ظهر (رفعة) التي وضعت توها وكان وحيداً مع فرسه وقد لحقت

المهرة بوالدتها حتى وصلوا ديار (طراد) فاصبحت الأم ومهرتها من نصيبه. أما أسماء الخيول فكان البدو يهتمون باسمائها كثيراً، فيخبرنا الراوي بانهم يسمونها ((("عاطف" حين تطلب العشار، ويدعونها "القاحة" حين تلقح. وبعد أن تلد يقولون "راغوثاً"، وصغير الحصان إذا كان أنثى يسمونها "مهرة"، وإذا كان ذكراً يدعونه "فلواً" وفي عامه الأول "حولي"، وفي عامه الثاني "جذع"، وفي الثالث "ثني" وحين يصل عامه السابع يسمى "جارحاً".))[133] كما كانوا يعتنون بها عناية فائقة فيخبرنا الراوي عن فرس (طراد) المدللة واسمها(تُفُنْكة)التيكان يعتني بها كثيراً فيعد لها وجبات خاصة لتأكلها فكان بارعاً بعنايته بالخيول فـــ((بيديه صنع أجمل الذيول، أتقن تلك العملية التي يعمد إليها البدو مع أمهارهم، حين يعمدون إلى ضغط الذيل إلى أعلى حتى تصبح منطقة حامل الذيل بشكل أفقي. أيضاً كان بارعاً بخياطة قمتي الأذنين معا لبعض الوقت لكي تحافظا فيما بعد على وضعهما المنتصب.))[134] أما تجارة الخيول فيخبرنا الراوي بأنها ((عام 1880 بدأت تلك التجارة لأجل لعبة البولو ووقع الضباط الانكليز ولاعبوا هذه الرياضة التي لاتجري إلا على ظهور الخيل بغرام الأفراس العربية الصغيرة الحجم والرشيقة، وصارت بغداد خلال الموسم الواحد تصدر إلى مرافئ الهند أكثر من ثلاثة آلاف حصان.))[135] كما أن الانكليز قاموا بتنسيل الخيول العربية في أوربا؛ لذلك انتعشت هذه التجارة، ويخبرنا الراوي كيف أن ((عقيداً في الجيش الملكي النمساوي، جاء في رحلته الثانية إلى الشرق الأوسط، في بداية القرن العشرين جاءت بعثة قصدت المنطقة لشراء الخيول العربية الأصيلة.))[136]

أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث فهي:

1-الرواية من الروايات القليلة التي تحدثت عن هذه الشريحة من الناس في مجتمعنا وكشفت لنا عن هذا المجتمع البعيد والغامض والروائية (لينا هويان الحسن) لديها روايات عدة عن البدو ولعل السبب في ذلك يرجع إلى نشأة الكاتبة في البادية السورية فهي ابنة البادية لذلك جاءت رواياتها عن البدوغزيرة بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة عن حياتهم، فقد نجحت في تقديم صورة واضحة عن هذا المجتمع بما يحمل من ايجابيات وسلبيات.

2-دمجت الروائية (لينا هويان الحسن) بين السيرة والرواية، لانها كتبت على الغلاف رواية فضلا عن العنوان الثانوي للرواية وهو(سلطانات الرمل سيرة أشهر جميلات بادية الشام) مما جعلت القارئ يقع في حيره من أمره هل مايقرأه حقيقة أم هو من خيال الكاتبة، فضلاً عن النصوص التاريخية للمستشرقين التي ضمنتها الروائية، التي أعطت مصداقية لروايتها وجعلت القارئ يتوهم أن كل مايقرأه عن البدو في هذه الرواية حقيقة دامغة، فنجحت الروائية في دمج الواقع مع الخيال ودمج القارئ مع النص.

3- كان للراوي العليم الذي كثيرا ما يتدخل ليقطع النص معلقاً ومفسراً دور كبير في الكشف عن الكثير من الأسرار والعادات والتفاصيل الدقيقة في حياة البدو التي مكنت القارئ من فهم الكثير من التصرفات الغريبة لهم التي وردت في الرواية.

4- للمرأة في هذا المجتمع مكانتها واحترامها كما أنها تتمتع بقدر من الحرية وليس كما كنا نتصور قبل قراءة الرواية.

الهوامش

1. لسان العرب، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد،(ت :711 هـ)،دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1997، مادة (نسق).
2. م.ن، مادة (نسق).
3. عصر البنيوية، ايدث كريزويل،ت: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993، ص411.
4. ينظر م .ن ، ص411 .
5. ينظر:التشابه والاختلاف،محمد فتاح،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 199،ص156.
6. النقد الثقافي– قراءة في الأنساق العربية، عبد الله الغذامي، لقصور الثقافة ،القاهرة،ط2010،1،ص78
7. قراءة النص وسؤال الثقافة – استبدال الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى ، عبد الفتاح أحمد يوسف ، عالم الكتب الحديث ، –اربد– ،ط1، 2009 ، ص79.
8. ينظر : ابن منظور ، مادة (ثقف) .
9. ينظر : دليل الناقد الأدبي –اضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً ، د . ميجان الرويلي ود. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ،الدر البيضاء ، بيروت ، ط2، 2000 ،ص75.
10. نظرية الثقافة ، مجموعة من الكتاب ، ت : علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط1، 1997 ، ص 9 .

11. ينظر : م .ن ، ص9.
12. الانثروبولوجيا الثقافية ، عاطف وصفي https://www.neelwafurat.com
13. النقد الثقافي ، عبد الله الغذامي ،ص 79–80 .
14. ينظر : م .ن ، ص 80
15. ينظر: تحولات النقد الثقافي ، عبد القادر الربيعي ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، ط1، 2007 ، ص15 .
16. ينظر: الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ، محمد زهير مشارقة ، دار طلاس للدراسات والنشر ، د.م ، ط1 ، 1988 ، ص7 .
17. سورة النحل ، اية :80 .
18. ابن منظور ، مادة (بدا) .
19. القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد (ت 817هـ) ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوقي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط8 ، 2005 ، مادة (بدا) .
20. مقدمة ابن خلدون ، العلامة ولي الدين عبد الرحمن محمد ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، د.م ، 2004 ، ج1 ، ص59 .
21. البدو – مابين النهرين العراق الشمالي وسورية ، ماكس فرايهيرفون أوبنهايم آرش بورنيلش وفرنر كاسكل ، ترجمة الجزء الأول : ميشيل كيلو و محمود كبيبو ، تحقيق : ماجد شبّر ، شركة دار الوراق للنشرالمحدودة ، المملكة المتحدة – لندن ،ط1 ،2004 ، ط2 ،2007،الفرات للنشر والتوزيع ، ص75 .
22. ينظر : تجربة توطين البدو الرحل ، اسماعيل السعدي ، مجلة الباحث الاجتماعي ، العدد 10 ، 2010 ، ص365 . نقلا عن مظاهر البداوة وصورها

في الشعر الجاهلي ، أحمد اسبيتان الشواورة ، اشراف د . خليل الرفوع ، اطروحة دكتوراه في الأدب والنقد ، جامعة مؤتة ، كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربية وادابها ، ص16 .

23. ينظر : البدو ، ص75 .

24. سلطانات الرمل – سيرة أشهر جميلات الشام ، رواية ، لينا هويان الحسن ، منشورات ضفاف ، الرياض ، بيروت ، ومنشورات الاختلاف ،الجزائر – العاصمة ، ص 15 .

25. الرواية ، ص133 .

26. ينظر : البدو ، ص85 .

27. ينظر : اسطورة الأدب الرفيع ، علي الوردي ، دار كوفان ، لندن ،1995 ، ص211.

28. الرواية : ص15 .

29. الرواية ، 60 .

30. ينظر : القيم البدوية بين الثبات والتغير – دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة الحيران ، عطا الله النوعي ، الشراف : د. محمد بومخلوف ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري ، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم علوم الاجتماع ، 2008 – 2007 ، ص 57 .

31. الامتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق: أحمد أمين و أحمد الزين ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ت)، ص12.

32. البدو ، ص89.

33. الرواية ، ص41 .

34. ينظر : البدو، ص90 .

35. الرواية ، ص71 .

36. الرواية ، ص71 .
37. الرواية ، ص71 .
38. الرواية ، ص20 .
39. ينظر : الرواية ، ص20 .
40. ينظر الرواية ،ص28 .
41. ينظر الرواية، ص28 .
42. الرواية ، ص123 .
43. الرواية ، ص 123 .
44. الرواية ، ص124 .
45. الرواية ، ص123-124 .
46. الرواية ، ص57 .
47. الرواية ، ص36.
48. البدو ،ص 88 .
49. ينظر : م.ن ، ص 88.
50. ينظر : الرواية ، ص15 .
51. الرواية ، ص13 .
52. الرواية ، ص14 .
53. الرواية ، ص16 .
54. الرواية ، ص17 .
55. الرواية ، ص27 .
56. الرواية ، ص29 .
57. الرواية ، ص27 .
58. الرواية ، ص28 .
59. الرواية ، ص30 .
60. الرواية ، ص30 .
61. الرواية ، ص31 .
62. الرواية ، ص30 .
63. الرواية ، ص31 .
64. الرواية ، صينظر 31 .
65. الرواية ، ص32 .
66. الرواية ، ص28 .

67. الرواية ، ص33 .
68. الرواية ، ص33 .
69. الرواية ، ص33 .
70. الرواية ، ص34 .
71. الرواية ، ص34-35 .
72. الرواية ، ص35 .
73. الرواية ، ص35 .
74. الرواية ، ص34 .
75. الرواية ، ص 39.
76. الرواية ، ص40 .
77. الرواية ، ص40 .
78. الرواية ، ص42 .
79. الرواية ، ص42 .
80. الرواية ، ص42 .
81. الرواية ، ص42 .
82. الرواية ، ص44 .
83. الرواية ، ص45 .
84. الرواية ، ص68 .
85. الرواية ، ص71 .
86. ينظر : الرواية ، ص72 .
87. الرواية ، ص73 .
88. الرواية ، ص198 .
89. الرواية ، ص197 .
90. الرواية ، ص198 .
91. ينظر : مدخل الى الأدب الجاهلي، احسان سركيس ، دار الطليعة ، بيروت ، ص128.
92. ينظر: في النصوص الجاهلية – مظاهر الحضارة الاقتصادية والاجتماعية العربية، خليل عبد الرفوع ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2005 ، ص9 .
93. لرواية ، ص66 .
94. الرواية ، ص 66.

95.ينظر : فجر الاسلام ، أحمد أمين ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة، د. ت ، ص 10.
96.ينظر: البدو، ص90 .
97.ينظر : م.ن ، ص 83 .
98.ينظر: البدو ص84 .
99.الرواية ، ص41 .
100. ينظر:البدو ، ص 91.
101. ينظر: الرواية ، ص41 .
102. ينظر: البدو ، ص84.
103. الرواية ، ص41 .
104. البدو ، ص84 .
105. البدو، ص84 .
106. ينظر : الصيد عند العرب : أدواته وطرقه – حيوانه الصائد والمصيد ، عبد الرحمن رأفت الباشا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1983 ، ص23 .
107. ينظر : اشكالية المفهوم في الخطاب العربي – قراءة اجتماعية ، علي وطفة ، مجلة التعريب ،ع 19 ،2000 ،ص160 . نقلا عن ظاهرة البداوة في الشعر العربي ، ص106 .
108. الرواية ، ص76 .
109. الرواية ، ص76 .
110. الرواية ، ص76 .
111. الرواية ، ص76 .
112. الرواية ، ص76-77 .
113. الرواية ، ص78 .
114. الرواية ، ص19 .
115. الرواية ، ص19 .
116. الرواية ، ص 19-20.
117. الرواية ، ص181 .
118. الرواية ، ص181 .
119. ينظر البدو ، ص81 .
120. الرواية ، ص181 .
121. البدو ، ص88.

122. الرواية ، ص23 .
123. الرواية ، ص179 .
124. ينظر : البدو ،ص88 .
125. الرواية ، ص180 .
126. البدو ، ص88 .
127. الرواية ، ص23 .
128. الرواية ، ص23 .
129. الرواية ، ص23 .
130. الرواية ، ص24 .
131. الرواية ، ص24-25 .
132. الرواية ، ص26 .
133. الرواية ، ص176 .
134. الرواية ، ص177 .
135. الرواية ، ص58-59 .
136. الرواية ، ص177 .

المصادر والمراجع

1. الامتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين و أحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

2. البدو – مابين النهرين العراق الشمالي وسورية، ماكس فرايهيرفون أوبنهايم آرش بورنيلش وفرنر كاسكل، ترجمة الجزء الأول: ميشيل كيلو و محمود كبيبو، تحقيق: ماجد شبّر، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، المملكة المتحدة – لندن، ط1،2004، ط2 ،2007.

3. تحولات النقد الثقافي، عبد القادر الربيعي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

4. التشابه والاختلاف، محمد فتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

5. الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، محمد زهير مشارقة، دار طلاس للدراسات والنشر، د.م، ط1، 1988.
6. دليل الناقد الأدبي –اضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي ود.سعد البازعي، المركز الثقافي العربي،الدر البيضاء، بيروت، ط2، 2000.
7. الصيد عند العرب: أدواته وطرقه – حيوانه الصائد والمصيد، عبد الرحمن رأفت الباشا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
8. عصر البنيوية، ايدث كريزويل، ت: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993.
9. فجر الاسلام، أحمد أمين، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، د. ت.
10. في النصوص الجاهلية – مظاهر الحضارة الاقتصادية والاجتماعية العربية، خليل عبد الرفوع، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2005.
11. قراءة النص وسؤال الثقافة – استبدال الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، عبد الفتاح أحمد يوسف، عالم الكتب الحديث، –اربد–،ط1، 2009.
12. القيم البدوية بين الثبات والتغير – دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة الحيران، عطا الله النوعي، الشراف: د.محمد بومخلوف، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة الجزائر،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم علوم الاجتماع، 2008.
13. لسان العرب، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد،(ت :711 هـ)،دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1997.
14. مدخل الى الأدب الجاهلي، احسان سركيس، دار الطليعة، بيروت، ص128.

15. مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي، أحمد اسبيتان الشواورة، اشراف د.خليل الرفوع، اطروحة دكتوراه في الأدب والنقد، جامعة مؤتة، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وادابها.
16. مقدمة ابن خلدون، العلامة ولي الدين عبد الرحمن محمد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، د.م، 2004.
17. نظرية الثقافة، مجموعة من الكتاب، ت: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1997.
18. https://www.neelwafurat.com الانثروبولوجيا الثقافية، عاطف وصفي، مجلة نيل وفرات.

The References:

1.Enjoyment and solidarity , Abu Hayyan al-Tawhidi, investigation: Ahmed Amin and Ahmed al-Zein, library of life for printing, publishing and distribution, Beirut, (without history).
2.The Bedouins - Between Mesopotamia Northern Iraq and Syria, Max Freihirfoon Oppenheim Arsh Bournlich and Werner Kaskel, Translation of the First Part: Miche
Kilo and Mahmoud Kabibu, Inquiry: Majid Shubar, Dar Al Warraq Publishing Limited, United Kingdom - London, 1st edition,, 2004, 2nd edition , 2007.
3. Cultural Transformation, Abdul Qader Al-Rubaie, Dar Jarir Publishing and Distribution, Amman, Jordan,1st edition, 2007.
4. Similarities and Differences, Mohamed Fattah, Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1996
5. The Social Life of the Bedouin in the Arab World, Muhammad Zuhair Masharka, Dar Tlass for Studies and Publication, No Place of Publication, 1stedition, 1988.

6. Literary Critic's Guide - lighting for more than fifty currents and contemporary monetary terms, d. Meghan al-Ruwaili and Dr. Saad Al-Bazai, Arab Cultural Center, Dar al-Bayda, Beirut, 2nd edition, 2000.
7. Hunting at the Arabs: its tools and methods - hunting and catcher, Abdul Rahman Raafat Al-Basha, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon,3rd Edition,1983.
8. Structuralism time , Edith Krzywell, Translated by: Jaber Asfour, Dar Su'ad Al-Sabah, Kuwait, 1st edition, 1993.
9. Dawn of Islam, Ahmed Amin, Arabic words for translation and publishing, Cairo, without a date.
10. In the Pre-Islamic Texts - The Representations of Arab Economic and Social Culture, Khalil Abdel-Rauf, Al-Falah Library for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st edition, 2005.
11. Reading the Text and the Question of Culture - Replacing the Culture and the Consciousness of the Reader with Transformations of Meaning, Abdul Fattah Ahmed Yousef, The Modern Books, Irbid, 1st Edition, 2009.
12. Bedouin Values Between Stability and Change - A Field Study on a Sample of the Youth of Al-Hieran City, Attallah Al-Ghoifi, Al-Sharaf: Mohamed Baumkhlov, MA in Urban Sociology, University of Algiers, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Sociology, 2008.
13. Al-Arab tong , Ibn Manzoor: Abu al-Fadl, Jamal al-Din Muhammad, (711), Dar Sader, Beirut, Lebanon 1st Edition, 2009, 1997.
14. Introduction to Pre-Islamic Literature, Ihsan Sarkis, Dar Al-Tali'ah, Beirut.
15. The manifestations of the Bedouin and its images in pre-Islamic poetry, Ahmad Asbitan al-Shawawra, supervision by d.

Khalil Al-Rifaou, PhD in Literature andCriticism, Mu'tah University, College of Graduate Studies, Department of Arabic Language and Literature.
16. Introduction by Ibn Khaldun, al-'Alama and 'Ali al-Din' Abd al-Rahman Muhammad, investigation: Abdullah Muhammad al-Darwish, Dar Yarub, without
Place published, 2004.
17. The Theory of Culture, A Collection of Authors, Ali Sayed Al-Sawy, Knowledge World, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, **1st edition ,1997.**
https: //www.neelwafurat.com18 - Cultural Anthropology, Atef Wasfi, Neil and Furat.

النسق الثقافي في رواية (سلطانات الرمل) لِلينا هويان الحسن

م.م. غادة جمال مكي

The cultural context of the Bedouin life in the nova (Sultanat al-Raml)

M. M. Ghada Jamal Makki
Baghdad University
Faculty of Education Ibn Rushd for Humanities
Email: gadajamal00@gmail.com

Summary

The research presents the cultural context of Bedouin life in the novel "Sultanat al-Raml - The Biography of the beautiful and famous women in the Badia Al-Sham" by Lina Hoyan Al Hassan in the second half of the 19th century and the beginning of the twentieth century according to the events of the novel. There are several accounts of the Bedouin, but we found that the cultural context of the Bedouin life in this novel is clearer and more comprehensive than the stories that dealt with the same subject. It also revealed to us a distant and unknown world of the urban man who lives in the city, so we took the cultural context of this segment of society Customs and traditions with i Personal nature of Bedouin men and women and the extent of the status of women in this society, and what economic resources, as well as to clarify the term cultural pattern and what we mean by it connotations.